هوية موريتانيا بين العروبة والزنوجة والفرنسة

(١٩٦٠ – ١٩٩٩)

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة دكتوراه الفلسفة في الدراسات الأفريقية من قسم التاريخ (تاريخ حديث ومعاصر)

إعداد الطالب

الشيخ حماه الله ولد محمد

إشراف

أ. د/ السيد علي أحمد فليفل

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الدراسات الأفريقية العليا بجامعة القاهرة وعميدها الأسبق

د/ وسام طه منصور

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الدراسات الأفريقية العليا بجامعة القاهرة

٢٠١٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾

صدق الله العظيم

إهداء

إلى روح أحبتي الثلاثة (محمد – هند – عائشة)
الذين غابوا عني أثناء أعداد هذا البحث

أهدي هذا العمل

الفهرست

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ- ط
الفصل التمهيدي **هوية البلاد الشنقيطية قبل الاستقلال**	**١**
أولا – العناصر السكانية في بلاد شنقيط ومسألة الهوية.	**٢**
ثانيا– عوامل بناء الهوية الشنقيطية.	**١٢**
١– دور الزوايا في ترسيخ هوية البلاد	١٢
٢– المحضرة ودورها في المحافظة على هوية البلاد الشنقيطية	١٥
٣– الهوية في عهد الإمارات الحسانية التي كانت تحكم البلاد قبل مجيء الفرنسيين	٢٠
٤– التفاعل مع الجوار المغربي والبعد المصري وأثرهما على هذه الهوية	**٢٣**
ثالثا – فرنسا والهوية الشنقيطية حنى سنة ١٩٦٠	**٢٨**
الفصل الأول **الهوية الموريتانية بعد الاستقلال المحددات والمؤثرات الحاكمة**	**٣٣**
أولا– الهوية الموريتانية بين العرب والأفارقة.	٣٤
ثانيا– المؤثرات الخارجية	٤٣
ثالثا– تفاعلات الهوية بعد الاستقلال.	٥٩
رابعا.– التعاطي الرسمي	٧٤
الفصل الثاني **صدام الهوية في موريتانيا ورد الفعل الفرنسي**	**٧٨**
أولا–بدايات التخلص من المؤثرات الاستعمارية على الهوية الموريتانية.	٧٩
ثانيا–الهوية الموريتانية وصدام ١٩٦٦.	٨٨

ثالثا–الوضع السياسي والهوية في موريتانيا.	٩٤
رابعا–التفاعل اللغوي والهوية في موريتانيا.	٩٩
خامسا–الموقف الفرنسي .	١٠٢
سادسا– الوضع الاجتماعي والعرقي	١٠٤
الفصل الثالث **السياسات الرسمية الموريتانية في مجال إرساء الهوية**	١١١
أولا– مقدمات التعامل السياسي مع مسألة الهوية.	١١٢
ثانيا– مسألة الهوية في الدساتير والاتفاقات السياسية.	١١٦
ثالثا– الاصلاحات التعليمية ودورها في مجال الهوية	١٢٣
رابعا– الأجهزة الإدارية في الدولة ومسألة الهوية	١٤٠
خامسا– تعامل الأنظمة المختلفة مع مسألة الهوية .	١٤٥
الفصل الرابع **قوى المجتمع ومسألة الهوية**	**١٥٥**
أولا– موقف الأحزاب والتيارات السياسية من مسألة الهوية.	١٥٦
ثانيا– دور النقابات والاتحادات الطلابية في مسألة الهوية.	١٦٩
ثالثا– دور المحضرة في المحافظة على الهوية.	١٧٧
رابعا– دور الزعامات التقليدية في مسألة الهوية.	١٨٢
خامسا– قوى رافضة للهوية العربية.	١٨٧
سادسا– معوقات السياسات الرسمية في مجال الهوية .	١٩٧
الخاتمة	٢٠٥
قائمة الملاحق	٢٠٩
قائمة المصادر والمراجع	٢٠٧

المقدمة:

تتناول هذه الرسالة موضوعا بحثيا مهما في تاريخ الدولة الموريتانية الحديثة، حيث يعد موضوعا مفصليا وفارقا في الوضعية السياسية التي ظلت تعيشها البلاد منذ استقلالها وحتى اليوم، إذ لم يثر أي موضوع آخر من الجدل والخلاف مثلما يثيره البحث في مجال الهوية الذي ظل دائما ملفا معقدا يطرح على طاولة كل من تولوا الحكم في هذه البلاد إلى يوم الناس هذا، وإسفينا يمكن أن ينفجر في أي وقت، وبركانا خامدا يمكن أن تطلق فوهته حممها المتطايرة في كل اتجاه .

ومن هنا جاءت أهمية الموضوع فهو وإن كان عن الهوية في موريتانيا إلا أنما يتعلق بالهوية العربية الإسلامية دائما يتمثل في دعم مكانة اللغة العربية في التعليم وأجهزة الدولة ، ولهذا دائما ما يكون دعمها حجر الزاوية في أي عملية إصلاح تعليمي تشهده موريتانيا.

كما تكمن أهمية الموضوع من كونه يجمع أبعادا مختلفة داخلية وخارجية، فهو موضوع يأخذ الاستقطاب فيه منحى عرقيا، لكن المفارقة أن القوى الفرانكفونية الإفريقية لا تنتفض بشكل حقيقي دفاعا عن لغاتها الوطنية ولا حتى عن خيار الزنوجة، وإنما دفاعا عن خيار الفرنسة كما حدث في اضطرابات ١٩٦٦.

كما يكتسي الموضوع أهمية أخرى من خلال البعد الخارجي الذي غالبا ما أثر في هذا الملف، ونعني هنا التدخل الفرنسي الذي أرسى سياسات في هذا المجال أثناء فترة احتلاله وظل يحافظ عليها مباشرة من خلال مساعداته وبعثته الثقافية في انواكشوط.

ولا يمكن أن ننسى جانبا آخر من جوانب أهمية الموضوع وهو ما يترتب على موقع موريتانيا المرتبط جغرافيا أكثر بمنطقة غربي أفريقيا الناطقة بالفرنسية، خصوصا السنغال وما يترتب عليه من تأثير في هذا المجال، مع الوضع في

الاعتبار ليس الارتباط العرقي بين البلدين بل أيضا الارتباط العائلي وهو ما جعل التأثير السنغالي يسفر عن وجهه أحيانا في هذا المجال .

كما يأخذ الموضوع أهمية أخرى من تشابه الحالة الموريتانية – في مجال الهوية – مع الحالة المغاربية ولهذا في مرحلة الإعداد لأهم إصلاح تعليمي في موريتانيا جرى سنة ١٩٧٣، حين قامت لجنة إعداد هذا الإصلاح بزيارة الدول المغاربية الثلاث، وشارك خبراء تونسيون في إعداد هذا الإصلاح مستفيدين من التجربة التونسية في المجال، تجنبا لحساسية القوى الفرانكفونية من أي تجربة أخرى، لأن تجربة تونس في عهد الحبيب بو رقيبة كانت محسوبة أكثر على الخيار الفرانكفوني.

أما عن أسباب اختيار الموضوع ففضلا عن أوجه الأهمية السابقة ، فهي كون هذا الموضوع رغم أهميته لم يفرد بدراسة تستوفي جوانبَه المحتلفةَ، وفترته هذه (١٩٦٠ – ١٩٩٩) ، فمن مركز على الجانب السياسي ، وآخر يركز على الجانب الاجتماعي ، فكان اختيار الموضوع للبحث هنا هو محاولة لتناول الموضوع من جوانبه المختلفة في دراسة واحدة قائمة على التوثيق والرجوع للمصادر الأولية ذات الصلة.

أما عن فترة الدراسة فتبدأ من تاريخ استقلال البلاد عن فرنسا سنة ١٩٦٠ ، وإن كانت إجرءات تصحيح الخلل في مجال هوية الدولة تعود إلى سنة قبل هذا التاريخ أثناء فترة الاستقلال الداخلي الذي استمر سنتين قبل استقلالها السياسي سنة ١٩٦٠ ، وهو ما حتم تمدد بحث الدراسة إلى هذه الفترة أحيانا، وتنتهي الدراسةُ بالإصلاح التعليمي الذي قام به نظامُ العقيد معاويةَ ولد سيد أحمد ولد الطايع سنة ١٩٩٩ وتم اختياره لكونه تقريبا عبارة عن تراجع عن المكاسب التى تم إحرازها في هذا المجال خلال أربعين سنة .

وفيما يخص الجهود التي بذلها الباحث فهي لا تختلف كثيرا عن أي صعوبات يواجهها أي باحث ، لكنها في حالتي كانت بنكهة خاصة ففي مرحلة الماجستير أنهيت مواعيد عرقوب مع مسؤولي وزارة الخارجية الكبار في طلب الاطلاع على ما أسموه هم قمامة ، وفي النهاية وصلت المساعي إلى طريق مسدود لكن يبدو أنهم بالفعل كانوا يعتبرونها قمامة أومخلفات ، فمع إكمالي مناقشة الماجستير تحدثت المواقع الالكترونية المحلية أن وثائق وزارة الخارجية يستعملها الباعة على شاكلة ورق للف البطاطس والطعمية ، ولم يختلف الحال كثيرا في مرحلة الدكتوراه رغم تذكيري بعض المسؤولين والذين كان من بينهم وزراء بما جرى للمخلفات الورقية في وزارة الخارجية (الوثائق) .

وقد حاولت هذه المرة كذلك مع جهات رسمية أخرى ، وكانت النتيجة مماثلة لسابقتها في انتظار النهاية المشابهة ، ولهذا كان على الباحث البحث عن مصادر أخرى للتغلب على هذا النقص من خلال بعض الوثائق المذكورة في قائمة أهم المصادر والمراجع .

كما قام الباحث في هذا الإطار بلقاء مجموعة من الوزراء السابقين من بينهم وزير التعليم في عهد الرئيس المختار ولد داداه السيد محمذن ولد باباه ، ونقيب المعلمين العرب السابق محمد المصطفى ولد بدر الدين ، ووزير العدل السابق صو آدما صمبا ، والوزير والسفير السابق في الأمم المتحدة محمد المحجوب ولد بيه الذي أشكره هنا على ما قدمه لي من دعم متعلق بالبحث.

وبموازاة مع تحضير البحث نشر الباحث بحثين من الرسالة في مجلة معهد البحوث والدراسات الإفريقية .

وقد استفاد الباحث أثناء تحضير البحث وكتابته من مجموعة من المكتبات من بينها المكتبة الوطنية الكبرى ومكتبة المدرسة الوطنية للإدارة ومكتبة جامعة انواكشوط ومكتبة المعهد التربوي الوطني وجميعها في انواكشوط ، كما استفاد

الباحث بشكل كبير من مكتبة معهد البحوث والدراسات الإفريقية في جامعة القاهرة فلكل القائمين والعاملين في هذه المكتبات مني جزيل الشكر وعظيم التقدير .

أما عن المصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها خلال الدراسة فتنقسم إلى قسمين الأول غير منشور مثل وثائق الأرشيف الوطني الموريتاني Archives National du Mauritanie المحفوظ في انواكشوط حيث استفاد الباحث من ملفاته حيث تكاد تكون الشاهد الوحيد على كثير من تاريخ البلاد مع التنبيه إلى أن أغلبيته الساحقة مكتوبة باللغة الفرنسية .

وكذلك من الوثائق غير المنشورة الأجنبية التي استفاد منها الباحث مجموعة تقارير منها تقرير لليونسكو خاص عن موريتانيا كتب في شهر ابريل سنة ٢٠٠٣ بعنوان : Etude sur la situation de l'education en Mauritanie ، وهو عبارة عن دراسة للوضعية التعليمية في موريتانيا، فمع ثنائه على العملية التعليمية في موريتانيا خلال الخمسة عشر سنة الأخيرة إلا أنه ذكر أن النظر إلى مواد تحقيق الهوية يظهر مدي تعقيد العملية ومقدار الفجوة الموجودة فيها، ومع هذا لم يغفل الإشارة إلى أن اللغة الثانية التي هي اللغة الأجنبية تنال من الوقت الدراسي أكثر مما تنال اللغة الأولى .

وكذلك تقرير آخر أعدته المنظمة العالمية للفرانكفونية Organhzation intrenationale de la francophonie خاص عن موريتانيا أيضا بعنوان : Politiques publiques en education exemple des refofms curriculaires، كتبت مبحثا من مباحثه وزيرة التعليم المموريتاني السابقة نبغوهه بنت محمد فال أعد سنة ٢٠٠٩ ، ورغم تركيز هذا التقرير على المسائل الفنية إلا أنه لم يخل من تلميحات مبطنة إلى موضوع الهوية في موريتانيا ، من قبيل تلميحه إلى أن سبب تخلف العملية التعليمية في البلاد هو التعليم التقليدي .

وكذلك تقرير أخر عن موريتانيا أعدته المؤسسة الأفريقية للتنمية Fonds Africain de Developpement أعد سنة ٢٠٠١ بعنوان : Projet d Appui au Programme Decennal de Developpement du Systeme Educatif أعد سنة ٢٠٠١ تناول وضع العملية التعليمية في موريتانيا وخطط إصلاحها المتعاقبة.

أما القسم الثاني فهو الوثائق المنشورة وأهمها طبعا الجريدة الرسمية للجمهورية الإسلامية الموريتانية Journal official de La Repebliqeu Islamique de Mauritanie ، وتكمن أهمية هذه الجريدة في أنها هي التي يتم نشر القوانين والقرارات الرسمية للحكومة الموريتانية من خلالها ولهذا استفاد منها الباحث في نصوص القرارات المتعلقة بمجال البحث مثل الإصلاحات التعليمية المتعاقبة .

أما فيما يتعلق بالدراسات السابقة التي اعتمدت عليها الدراسة فمنها كتاب : موريتانيا بين الانتماء العربي والتوجه الأفريقي، دراسة في إشكالية الهوية السياسية ١٩٦٠ – ١٩٩٣ تاليف الدكتور محمد سعيد بن أحمدو الصادرة طبعته الأولى عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت سنة ٢٠٠٣، وهو كتاب من أشمل الدراسات التي كتبت عن موضوع هوية موريتانيا إلا أنه يركز كما في عنوانه على البعد السياسي لهذه الهوية مغفلا الجوانب الأخرى إلا في حالات نادرة ،وهو النقص الذي حاول الباحث معالجته من خلال تناول أبعاد الهوية المختلفة .

كذلك من الدراسات السابقة التي استفاد منها الباحث كتاب موريتانيا على درب التحديات، للرئيس الراحل المختار ولد داداه الصادر عن مطبعة كارتالا في باريس سنة ٢٠٠٦ ، وهو وإن كان غير مخصص لموضوع الدراسة إلا أنه تناولها بشكل مفصل في كثير من فصوله كما في فصول : نحن والوحدة الإفريقية، نحن والمغرب، نحن والجزائر، نحن ومستعمرونا السابقون، حيث إن تناوله لهذا الموضوع ومناقشته له تتخطى كثيرا بعض الدراسات التي أفردت لهذا الموضوع .

كذلك من الدراسات السابقة التي استفاد منها الباحث رسالة الهوية والإنتماء في المجتمع الموريتاني، للدكتور محمد الأمين الشيخ أحمد وهي رسالة دكتوراه في معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة سنة ٢٠٠٤ ، تناولت موضوع الهوية من جوانب عدة ثقافية واجتماعية لكن ركزت على البعد الأخير كونها صادرة عن قسم الدراسات الإجتماعية في المعهد المذكور، لكنها لم تول الجوانب الأخرى اهتماما كافيا.

أما المراجع الأجنبية التي استفاد منها الباحث فمنها كتاب Le Systeme politique de la Mauritanei 1960 – 1980 تاليف الكاتب الفرنسي Jean Claude Arnault الصادر في باريس سنة ١٩٨١ ، حيث حلل فيه الكاتب جوانب النظام السسياسي الموريتاني المختلفة ، فتطرق إلى موضوع موقع موريتانيا في العالم العربي والتحديات التي تواجهها في هذا المجال .

وكذلك استفاد الباحث من كتاب La Mauritanie de 1900 a 1975 لعالم الاجتماع الفرنسي Francis de Chassey الصادر عن دار النشر Anthrops سنة ١٩٧٨ ، حيث تناول فيه مؤلفه كثيرا من مواضيع هذا البحث من قبيل علاقة التعليم بالهوية الوطنية ، كما تناول إشكالية "همزة الوصل" وغيرها من المواضيع المتعلقة بموضوع البحث .

أما عن المنهج الذي اتبعه الباحث في هذه الدراسة فقد كان المنهج التاريخي التحليلي والذي يتميز بدراسة الموضوعات مع مراعاة العنصر الزمني من حيث ترتيب الأحداث وتتابعها وقد حاولت ما أمكنني أن أعود إلى المراجع المتخصصة في موضوع البحث ضاربا الصفح عن كثير من المراجع التي وإن تناولت الموضوع لكنها تتناوله بعيدا عن العمق والتوثيق .

وفي أثناء دراسة هذا الموضوع حاول البحث الإجابة على بعض التساؤلات العالقة في هذا المجال من قبيل هل كان التجاذب بين المكونين العربي والأفريقي في

موريتانيا حول الهوية تجاذبا عرقيا صرفا أم أنه غذته عوامل أخرى؟ بصيغة أخرى هل كان لفرنسا دور مباشر في هذا التجاذب المستمر؟ وإلى أي مدى ترك أبناء البلد يرسمون سياستهم التعليمية بأنفسهم ؟ وكيف حاولت قوى خارجية وضع يدها في هذه السياسات محاولة التأثير عليها بصورة مباشرة أوغير مباشرة ؟ وهل كان التعاطي الرسمي مع تدخلات هذه القوى بالقدر المطلوب أم أن سياسات الحكومات في هذا المجال كانت مضطربة ؟ وبما أن هذه المسألة وصلت لأقصى درجات التأزم، فكيف تعاملت الحكومة مع هذا الوضع وتداعياته ؟ وماهي الطريقة التي واجهت بها الحكومة تحدي تغيير الواقع الثقافي الذي أرسته فرنسا أثناء احتلالها للبلاد ؟ وما مدى نجاحها في التخلص من المؤثرات الاستعمارية على الهوية ؟ وما هي ردة فعل فرنسا على ما تم القيام به من إجراءات للتخلص من تركتها الثقافية ؟ .

وفي محاولة لتقديم إجابات على هذه التساؤلات تم تقسيم الرسالة إلى فصل تمهيدي وأربعة فصول أخرى، حيث كان الفصل التمهيدي عن هوية البلاد الشنقيطية قبل الاستقلال السياسي عن فرنسا من خلال العناصر السكانية المكونة لسكان هذه البلاد، وعوامل بناء الهوية الشنقيطية ودور المحاضر والزوايا في ترسيخ هذه الهوية، كما ألم الفصل بنظام الإمارات التي كانت تحكم بعض جهات البلاد قبل مجيء الفرنسيين، وما كان يجري خلال هذه الفترة من تفاعل مع الجوار المغربي والرافد المصري وأثرهما في هذا المجال ، مختتما الفصل ببعض ما قامت به فرنسا من تأثير على الهوية الشنقيطية حتى سنة ١٩٦٠.

أما الفصل الأول فكان بعنوان الهوية الموريتانية بعد الاستقلال المحددات والمؤثرات الحاكمة ، حيث تعددت وتنوعت المؤثرات فكان منها الداخلى وكان منها ماهو خارجي، فتأثرت بالمؤثر العربي كما تأثرت بالمؤثر الأفريقي كما لم يكن التأثير الفرنسي غائبا، وكانت هناك عوامل هي التي تتفاعل ويتجلى فيها هذا التأثير أوذاك، كما في تفاعلات اللغة والتعليم التي هي مقياس التحرك في هذا المجال، وفي أثناء